إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
فهذه مشاركة في ندوة بعنوان:

تحديات الدعوة السلفية: أسباب وحلول

المراد بالدعوة السلفية: هي دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

خلاصة حقيقة الدعوة:

- توحيد المرسِل : في أفعاله، وفي أسمائه وصفاته، وأفعال المكلفين.
- توحيد المرسَل: في المتابعة.فلا ابتداع في الدين، ولاتعصب لرأي أو مذهب.
- التخلق بأخلاق السلف: في إحياء الأخوة، في المعاملات الاجتماعية والمالية ونحوها، والحرص على الإخلاص والبعد عن الرياء.

التحديات وأسبابها :

التحديات على نوعين:

1. تحديات من قبل المنتمين إلى الدعوة.
2. تحديات من قبل المناوئين.

أولا: تحديات من قبل المنتمين إلى الدعو

أولاأولا: **تحديات المنتمين للدعوة:**

***1**-التخليط في فهم الحكمة:*

والعجيب أن بعضهم يفهم المقصود بالحكمة والموعظة الحسنة فهماً خاطئاً يفرغ به الدعوة من جوهرها ومضمونها وغايتها ، ويخلطون فيه خلطاً شديداً بين أساليب عرض الدعوة وبين جوهرها ومضمونها ، فيعممون الأسلوب على المضمون والجوهر.

قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }النحل 125 يستخدم بعضهم هذه الآية في أساليب الدعوة في اتهام دعاة

صريحين جريئين في دعوتهم، ويحسبون هذه الصراحة والجرأة منافية للحكمة والموعظة الحسنة ، ويصنفون هذه الفضائل ضمن المعوقات ، ويجعلون صاحبها متصفاً بالتطرف والتزمت والتشدد والعنف والحدة والقسوة والانفعال والإساءة.. أما المتصف بالحكمة والموعظة الحسنة - عند هؤلاء - فهو الذي يتغاضى عن الانحرافات ، ويتسامح مع تصرفات أصحابها ، ويرتاد الأماكن والمجالس والمحافل التي تجري فيها مخالفات شرعية ، ويتباسط مع المخالفين فيها ، ويسكت عن البيان والدعوة والنصح . أما إذا قام أحد بالنصح في هذه المجالس والمحافل ، والتذكير والوعظ لأصحابها ، فإنه مجانب لأساليب الدعوة الحكيمة ، متصف بالغلظة والشدة والقسوة..وهذا مخالف لمنهجية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة:

2-عدم التفريق بين أسلوب الدعوة ومضمونها:

إن أساس الدعوة ومضمونها وجوهرها : الدعوة إلى توحيد الله ، والإيمان برسوله - عليه الصلاة والسلام - ، هذا لم يتغير في أي ظرف أو زمان أو مكان . هناك حقائق وقواعد وأسس لم يتنازل عنها الرسول عليه الصلاة والسلام أو يتراجع ، ولم يفاوض حولها أو يهادن أو يساوم : إن المؤمنين هم **أهل** الجنة ، وإن الكافرين هم أصحاب النار ، إن الكافرين ليسوا على دين ، وإن الحق حق والباطل باطل، وإن المعروف مطلوب والمنكر مذموم متروك.. إلى غير ذلك من الحقائق الثابتة والقواعد الراسخة..

لقد أزعج الكافرين ثبات الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- على مضمون الدعوة وجوهرها. وعدم تراجعه عنها ومساومته عليها ، ونجاحه في سلوك الأسلوب الناجح في عرض هذه الحقائق وتقديمها للناس.. أزعجهم تفريقه بين الأسلوب والمضمون ، وفصله بين ما يجب أن يقال وكيفية وطريقة أن يقال..

ولهذا أرادوا أن يساوموه ويداهنوه ، أرادوا منه أن يتراجع عن موقفه ، ويتنازل عن خصائصه..

{ودُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}القلم:9] أرادوا أن يضيعوا المضمون ويميعوا الحق ، فعرضوا عليه الالتقاء في منتصف الطريق : نعبد إلهك يوماً وتعبد آلهتنا يوماً ! ؛ فجاء الحسم من الله في عدم المساومة على الحقائق {قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ ولِيَ دِينِ * } .

أرادوا أن يحرفوه عن الحق الذي معه ، وأن يفتنوه عن الذي أوحاه الله إليه : {وإن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وإذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * ولَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً}[الإسراء:73-75] .

مضمون الدعوة ثابت ، وحقائقها راسخة.. وكل من اعتدى عليها لينال رضاء الناس والقبول لديهم فقد خان الأمانة ونقض العهد وباء بسخط من الله {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ}[البقرة:79].
والداعية في هذه الموضوعات وغيرها ليس مجتهداً ولا مبتدعاً، وإنما هو ملتزم بما ورد منها في الكتاب والسنة، فواجبه هو أن يتدبرهما ويستخرج منهما بيان هذه الحقائق وتحديدها وتفصيلها .. {وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ}[الأنعام:55] .
وعلى الداعية أن يراعي آداب الدعوة ، وهدي رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في تبليغ الدعوة للناس ، وطريقة الصحابة والعلماء في تقديمها للناس. ويلتزم بهذه الآداب من مثل التواضع والحِلم والأناة واللين والرفق والصبر والسماحة والبشاشة والرقة والمحبة والصدق..
ويتجنب أضداد هذه الأمور ، فلا يكون فظاً غليظ القلب ، ولا يكون متكبراً متعالياً ، ولا قاسياً ولا عنيفاً ولا غَضوباً ولا متهوراً ولا نزقاً ولا نكداً ولا معسراً .
وخلاصة هذه المسألة أن على الداعية أن يفرق بين الأسلوب والمضمون فيطور في الأول وينوع ويجتهد ، أما الثاني فإنه ملتزم فيه بالأصول وَقَّاف عند النصوص.

3- القصور عن تصور شمولية الدعوة:

إذ هناك نفر من الدعاة يظنون الدعوة إلى التوحيد، مجرد عمل "تثقيفي" أو" تعليمي" تصحح به تصورات الناس تجاه مفهوم عقيدة ومنهج أهل السنة في أقسام التوحيد المتعلقة بالباري سبحانه وتعالى فحسب، دونما بيان شاف كاف عن آثار هذه العقيدة في واقع الناس وسلوكهم ونظمهم الاجتماعية والقيمية والتشريعية ومشاعرهم وولائهم وجهودهم وغير ذلك،ودونما عناية بتربية شباب الصحوة المتحمس تربية حسنة تقوم من سلوكياتهم خاصة في أوجه تعاملهم مع من فوقهم في السن والعلم،وفي سبل التعامل مع الآخرين، وهذا الاتجاه المشاهد الآن، لو تعززت وجهته في الدعوة السلفية، فستنتهى بنا حتماً إلى حصر الدعوة الإسلامية في نوع من الجدل الكلامي الذي يكثر فيه تشقيق المعاني وتهويم الخواطر، وتناطح الأمثلة التجريدية، وإتاحة الفرصة تماماً أمام التيارات المنحرفة لصياغة واقع الأمة وفق مناهجهم الفاسدة.
لقد كان النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يدعو قومه إلى التوحيد الخالص في مكة، طوال ثلاث عشرة سنة، ليخرج قومه من ظلمات الجاهلية والوثنية والإشراك بالله، إلى نور التوحيد ومع ذلك الحرص الشديد على دعوة التوحيد،

فـإن الـرسـول -صلى الله عليه وآله وسلم- كـان يجتهد فـي تصـحيح الانحرافـات الاجتماعية كلها في الواقـع الذي يعـيـشـه، ويقرن ذلك كله بالتوحيد، حتى لكأنهما بنـاء واحـد لا يمكن فصـل بعضـه عن بعض فـي دعـوة الحق، وحسبنا فـي ذلك القرآن المتلو في مكة.

4- القصور في مجال توجيه ردود الأفعال:

إن إثـارة ردود الأفعـال غيـر المدروسـة تعـد مـن أخبـث الوسـائل المسـتخدمة اليـوم للتأثير على المسلمين جماعات وأفرادا وتحويل مسار أعمـالهم ومنـاهجهم الدعويـة ومن ثم القدرة على إيجاد مبررات للشن حملات تشويهية أو تخريربية على عملهم.

6- القصـــور فـــي مجـــال فقـــه المكـــان والزمـــان، والـــوعي العميـــق بـــالواقع الاجـتـمـاعـــي الذي تتحرك فيه ال وبـــدون هذا الفقه للواقع لا يمكن لمسلم تنزيل قاعـدة المصـالح والمفاسـد، ولا أصـل :لا ضـرر ولا ضـرار، ولا أصـل:ارتكـاب أخف الضررين، ولا باب:سد الذرائع، ولا باب :الضرورات العامـة ومـا تعم بـه البلوى، وغير ذلك من مقتضيات الدعوة وأصول الأحكام، ومن دخل فـي شـيء مـن هذا كـلـــه بـدون معرفـة بالزمـان والمكـان ،وبصـيرة بـأحوال المسلمين وفقـه لواقعهم، فهو مغامر ولا شـــك، وضـــارب فـي عمايـة، ولا يؤمن جانـب دعوتـه وفتواه أن تودي بالمسلمين إلى موارد الهلكة والفساد.

ولقد كـان مـن هـــدي النبي -صلى الله عليه وآلـه وسلم-، مراعـاة أحوال النـاس، والبصيرة بواقعهم وظروف الـزمـان، وموازين السلوك الاجتماعي، وكان يوجـه دعوتـه -صـلى الله عليـه وآلـه وسلم- وفـق ذلـك الاعتبـار، فيقـدم ويـؤخر، ويوجـه ويرشد.

روى الشيخان وغيرهما واللفظ لمسلم عن أم المؤمنين عائشـة رضـي الله عنهـا أن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قال:" ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبـة اقتصروا عن قواعد إبراهيم، قالت: فقلت يا رسول الله أفلا تردها على قواعد إبراهيم، قال رسول الله : ولولا حدثان قومك بالكفر لفعلت".

لقد وعـى رسول الله -صـلى الله عليـه وآلـه وسلم-، واقـــع الـنـــاس، وحساسـيات ذلـك الواقـع ووضـع ذلك كلـه فـي اعتبـاره وتقديره، فـأخر مـا كـان يحـب فـعلـــه مراعاة لذلك الواقع.

وقد وروى الشيخان من حديث معاذ بن جبـــل رضي الله عنه قال: "كنت رديف رسول الله -صـلى الله عليه وآله وسلم- على حمار يقـــال لـه عفير، قـال فقـال: "يـا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد علـى الله؟ قـال قلـت الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العبـاد

على الله عز وجل ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قال: قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال: لا تبشرهم فيتكلوا."

وفى هذا الحديث الجليل فائدتان، الأولى : هدي النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- عندما منع إذاعة البشارة في ذلك الوقت، مراعاة لأحوال الناس، ومبلغ فقههم وانتشار العلم فيهم، ودرجة وعيهم بوضع هذه البشارة من سياق التكليف كله، ومن لا يعرف واقع الناس لن يفهم قيمة ذلك الهدي الجليل، الثانية: اجتهاد معاذ بن جبل رضي الله عنه، عندما أذاع هذه البشارة قبل موته، وما ذلك إلا لمعرفته بهدي النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وأن المنع كان متعلقاً بواقع الناس فلما تغير الواقع وشاع العلم، وتمكن الإسلام في النفوس أذاع البشارة تأثماً من كتمان العلم،والإفضاء بهذا السر لمعاذ دليل على كون منع الإذاعة متعلقا بفقدان هذا الفقه، ومعاذ رضي الله عنه هو من هو في معرفة الحلال والحرام، وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قد اختاره لتبليغ الدعوة ونشرها في اليمن وبعث معه أبا موسى الأشعري، وأوصاهما في مهمتهما الجليلة فقال: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا واليسر والبشارة أو العسر والتنفير ليسا من الأمور النظرية المجردة، وإنما هي مرتبطة بواقع الأحكام والدعوة في المجتمع وبين الناس فمن جهل طبيعة الواقع أو تجاهل أحوال الناس لم يدر هل يسر عليهم؟ أو عسر؟ وهل نفرهم عن الدعوة أو حببهم إليها؟ فضلاً عن متى يكون التكليف يسراً في الواقع، ومتى يكون عسراً.

7- القصور في مجال الإدارة والتخطيط:

أما التخطيط –وقد أصبح فنا مستقلا بعد أن كان جزء من الإدارة- فلا يقل أهمية عن الإدارة نفسها، وحاجة العمل الإسلامي إليه غير قابل للنقاش، وحتى تتجلى لنا أهمية التخطيط-ومعناه التنظيم ورسم الأهداف وخطوات العمل في المستقبل، وتقسيم مراحل تنفيذه إلى أقسام-

ألم تعانِ الدعوة من عدم وضوح الهدف؟

ألم تعانِ الدعوة من الارتجالية والفوضى؟

ألم تعان الدعوة من الحزبية والانفرادية في اتخاذ القرار؟

ألم تعانِ الدعوة من فقدان القيادة القادرة على الاستفادة من المصادر المتاحة ؟

ألم تعان من ضعف قدرة القيادات على مراقبة نفسها ومحاسبتها عندما تحيد عن الطريق؟

ألم تعان من الترف الفكري وكثرة النقاش والجدل والمراء المكرر في مسائل هي ذاتها؟

ألم تعان من كثرة المجاملة والتقليد الأعمى والتعصب للأحزاب والجماعات.

ألم تعان من حب الرئاسة والزعامة والتنافس عليها؟

لاشك أن العمل المنظم المخطط له بدقة إذا وجد مع العامل المخلص استطعنا التخلص من جزء كبير من هذه المعاناة التي تعود إلى العاملين أنفسهم، ونلخص هنا مزايا التخطيط :

1 - انتظام العمل وانسيابه بسهولة ويسر، حيث يتم تحديد الأعمال والمراحل التي تمر بها ، والأشخاص الذين يؤدونها.

2 - تحديد الاختصاصات والصلاحيات والمسؤوليات ، بحيث يعرف كل فرد واجباته الأساسية والفرعية والإضافية، وعلاقة وظيفته بالوظائف الأخرى ، ويبين لكل قسم وإدارة حدود صلاحياتها وعلاقاتها بالأقسام والإدارات الأخرى . فلا يحدث تنازع في الاختصاصات أو تضارب في السلطات.

3 - الاستغلال الكفء للإمكانات المتاحة (خبرات وطاقات العاملين) والحصول على أقصى طاقة إنتاجية منها، وتحقيق التنسيق والتكامل بين الموارد البشرية والخبرات والمهارات المتاحة، وبين الإدارات والأقسام ، فيزيد احتمال الوصول إلى الأهداف المحددة بقدر كبير من الفعالية.

4- بذلك يتحقق التعاون والانسجام بين الأفراد والجماعات فتسير العلاقات الوظيفية، والاجتماعية بأقل قدر ممكن من التنافر والتضاد.

ثانيا: تحديات المناوئين:

وقف المشركون من دعوة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- موقفاً لا يتغير في جوهره وهدفه، فهو العداء المستحكم، والسعي الحثيث إلى قتل الدعوة في مراحلها المختلفة، إلا أن هذا الهدف قد ظهر في صور متعددة تتخذ مرحليّة جلية في العداء. وسأشير إلى المرحلية التي سلكها المشركون في العداء، معرجاً على موقف أهل الحق - متمثلين في رسول الله وصحبه - من هذه الصور المختلفة وبذلك نستطيع أن نتصور موقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من هذه التحديات.

1- مرحلة عدم الاكتراث بالدعوة:

بدأ الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- بالدعوة منذ أن نزل عليه {يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ} وكانت دعوته في بادئ الأمر سرية، ولا يُفهم من ذلك أن المشركين في تلك الفترة لا يعلمون عن محمد ودعوته شيئاً، لكن حيث جاء الرسول بما يخالف ما عليه القوم مخالفة كلية، وحيث علم أنه ليس من السهولة أن يلتف الناس حوله إذا جهر بالدعوة بينهم مجتمعين، فقد كان يتخير من يتوسم فيه القبول فيسرُّ له بأمر الدعوة، وهكذا خفي على المشركين تفاصيل ما عليه الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- وصحبه، ولكنهم لم يخف عليهم أن للرسول دعوة . فهذا أبو ذر وعمرو بن عنبسة وغيرهما يأتون النبي لأنهم قد سمعوا به، وانتشر بينهم أنه يدعو إلى أمر جديد، إلا أن الرسول وهو في بداية أمره لم

يواجه قومه بتسفيه ما هم عليه، فلم ينشأ عندهم الشعور القوي بالخطر من دعوته، فكان من أثر ذلك أنهم لم يكترثوا بأمره.
جاء في سيرة ابن هشام: "فلما نادى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته" [تهذيب سيرة ابن هشام / 55].
وهكذا الأمر دائماً، عندما لا يشعر أهل الباطل بأن في دعوة الحق خطراً عليهم، فإنهم لا يبدون اكتراثاً بأمرهم، وإن كانوا لا يخفون بغضهم وكراهيتهم واستهزاءهم بالحق وأهله.

***2** - المحاولات غير المباشرة لإسكات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:*
ولما أعلن الرسول كفره بآلهتهم، وتسفيه معتقداتهم، حاول المشركون أن ينهوا الأمر بمحاولة إسكاته عن القيام بدعوته، وذلك عن طريق عمه أبى طالب، فمن ذلك طلبهم منه في المرة الأولى أن يكف ابن أخيه عنهم أو يتركهم ليروا أمرهم فيه فردهم أبو طالب رداً جميلاً. (التهذيب / 55).
ولما لم تثن تلك المحاولة الرسول عن عزمه حاولوا مرة أخرى بلهجة أشد. وكان جواب الرسول واضحاً صريحاً وقاطعاً في أنه لا أمل في ثنيه عن دعوته: "والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار" (انظر التعليق على فقه السيرة / 110).
***3** - صياغة الاتهامات لتضليل العامة:*
ولما أيقنت قريش أنها لا تستطيع ثني الرسول عن الصدع بدعوته، حولت جُلَّ جهودها إلى إنشاء مناعة عند عامة العرب ضد الإيمان به، أو حتى الاستماع إليه، فاجتمعت قريش قبل موسم الحج بزعامة الوليد بن المغيرة لصياغة الاتهامات المناسبة لصد الوفود عن الاستماع إلى الرسول "فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً" (التهذيب / 57)، فتقلبت أقوالهم بين ساحر وكاهن وشاعر، ثم استقر رأيهم على اتهامه بالسحر، كما تظهر القصة، وإن كانوا في الحقيقة لم يستقروا على اتهام واحد {إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ}
وكان من مشيئة الله أن جعل من تلك الاتهامات والتحذيرات دعاية للدعوة "وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها" (التهذيب / 58).
***4** - مرحلة التعذيب لفتنة المؤمنين:*

ولما لم تفلح تلك المحاولات في صد الناس عن الإيمان بالدين الجديد، تواصى المشركون فيما بينهم بالتفنن في تعذيب المستضعفين لرد من آمن بمحمد عن دينه، وقد لخص كبيرهم أبو جهل مخططهم في ذلك: "وكان أبو جهل الفاسق.. إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك، ولنفيِّلنَّ رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً أغرى به" (التهذيب / 71، 72).

وبدأت مرحلة التعذيب الرهيب كفعل أبى جهل بآل ياسر، وأمية بن خلف ببلال، ويكفي في تصوير شدة هذا التعذيب ما يرويه سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجوعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده" (التهذيب / 72).

ولقد أصاب الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- في تلك المرحلة شيء من الأذى، كالذي فعله به عقبة بن أبى معيط حين وضع سلا جزور على رأسه وهو ساجد، وعندما اجتمع عليه المشركون حول الكعبة ففرقهم أبو بكر عنه.

والحقيقة أن التعذيب لم ينته عند مرحلة معينة، بل استمر طويلاً، إلا أن الهدف منه في المرحلة الأولى والدعوة في طفولتها كان المحاولة في رد الأتباع القلائل عن دينهم، وتخويف غيرهم من الدخول في الدين، لكن بعد أن قويت شوكة الدعوة كان التعذيب لمجرد الانتقام، ولتنفيس الغيظ والحنق الذي في نفوس المشركين، أو للأخذ بشيء من ثاراتهم من المسلمين، ومن ذلك ما فعله المشركون بخبيب حين صلبوه.

ولابد لنا هنا من وقفة عند أثر هذه المرحلة على أتباع الدعوة، وعلى سير الدعوة نفسها:

- أخرجت تلك الابتلاءات نماذج عظيمة في الثبات على دين الله، والتضحية في سبيل العقيدة.
- وكان فيها تربية صلبة للأصحاب أعدتهم لخوض المرحلة القادمة- مرحلة المواجهة المباشرة- والجهاد الذي ارتفعت به درجاتهم عند الله.
- وزادت من الترابط بين أتباع الدين الجديد.
- وأدت إلى شيء من تعاطف العامة من المشركين مع هؤلاء المستضعفين.

وهذه وغيرها مكاسب عظيمة للدعوة، كان الابتلاء سبباً مباشراً لها.

***5** - مطاردة الفارين بدينهم خارج الحدود:*
"فلما رأى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم" (التهذيب /72).
ولكن طغاة قريش لم يطب لهم العيش، وهم يرون أتباع الدعوة وقد أصابوا داراً وقراراً عند ملك الحبشة، فكان ما كان من مؤامرات حتى يخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها.
وكان من رحمة الله بعباده المؤمنين، ومن حمايته لدعوته وحفظه لها أن رد وفد قريش خائباً، وجعل للمسلمين من عدل النجاشي ملجأ، وإن لم يكن على دين الإسلام في بادئ الأمر. وهذه الصورة بكل جوانبها لا تزال تكرر نفسها.
***6**- الإغراءات المادية:*
ولما لم تفلح كل تلك المحاولات مرة أخرى في قتل الدعوة، أو حتى في إيقاف انتشارها الواسع، وعندما قوي أتباع الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- واشتد أمرهم بإسلام حمزة وعمر وغيرهما، لجأ الطغاة إلى محاولات لإغراء الرسول بأمور الدنيا، كي يتنازل عن دعوته.
ومثال تلك المحاولات مفاوضة عتبة بن ربيعة الذي أرسلته قريش مندوباً عنها ليعرض على الرسول الملك والجاه والمال كي يكف عن دعوته.
7 - المفاوضات الدينية والسعي وراء التنازلات:
وتمثل تلك المرحلة أخبث وأخطر ما تفتق عنه تخطيط الطغاة ومكرهم. إن أهل الباطل ليس لهم منهج ثابت محدد يلتزمون به، وإنما يدورون مع مصالحهم حيث دارت، ومصلحتهم العظمى كما يرونها في عداء الحق والسعي لإطفاء نور الله، ومن هنا فإن أهل الباطل لا يجدون غضاضة ولا صعوبة في أن يعترفوا بشيء من الحق ويتفاوضوا مع أهله إذا كان في ذلك قضاء على الحق وأهله ولو بعد حين.
وتدبروا في موقف أهل الباطل من التنازلات {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} إن لديهم الاستعداد للمداهنة، ولا مانع لديهم من التنازلات عن شيء من باطلهم في مقابل تنازل أهل الحق عن شيء من حقهم.
يقول ابن كثير في تفسير سورة الكافرون: "قيل إنهم (أي كفار قريش) من جهلهم دعوا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون

معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة فأمر رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال: لا أعبد ما تعبدون".
وثبت الله رسوله أمام هذا الكيد الجديد {وَلَوْلا أن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً} وعلمنا الموقف الذي نقفه من هذا الكيد، وحذرنا من المداهنة في دين الله، بل جعل من أصول ديننا معاداة الكافرين وبغضهم والبراءة منهم، حتى يقطع كل سبيل للتقريب بينهم وبين المؤمنين !!

الحلول:

1- استفراغ الوسع في البحث عن الحلول العملية لا النظرية وحدها:

ووقفة مع موقف الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- وهو يرى أتباعه يعذبون:
لقد أصاب رسول الله أذى من المشركين، لكنهم لم يكونوا ليبلغوا منه شيئاً كثيراً لمكانة عشيرته بينهم، ولكن العديد من أصحابه واجه فتنة لا طاقة لكثير من البشر بها، فماذا كان موقف الرسول من ذلك ؟.
لقد أبدى الرسول تعاطفاً شديداً وشفقة حانية على أتباعه من المعذبين، فكان يمر بآل ياسر، ويثبتهم على مصابهم، ويعدهم الجنة، وكذلك كان حال المسلمين ممن لم يصبهم الأذى، فهذا أبو بكر ينفق ماله على إعتاق المعذبين من الرقيق.
ولم ينته دور الرسول عند التعاطف والإشفاق، بل كان يبحث عن كل ما من شأنه أن يخفف المصاب عن أتباعه من حلول عملية.
فكان يأمر من أسلم من الضعفاء أو ممن يخشى عليه الفتنة أن يكتم إسلامه عن أهله، ويأمر بعض من يأتيه من قبائل العرب مسلماً أن يعود إلى قبيلته لأنه لا سند له بمكة.
ولما علم أن في الحبشة ملكاً لا يظلم أمرهم بالهجرة إليه فراراً بدينهم.
إذن: كان الرسول يرفع من معنوياتهم، ويذكرهم بالأجر والثواب، ويؤكد نصر الله إياهم بعد حين، وفي نفس الوقت كان يبحث لهم عن حلول عملية تخفف من وقع الفتنة عليهم.

2-عدم الخضوع لاستفزازات المناوئين:

ومن الضوابط الشرعية التي يجب على الداعية أن يوليها ما تستحق من عناية:الصبر وعدم التأثر بأفعال المناوئين تأثرا سلبيا، وكذلك عدم استعجال النتائج:
قال تعالى : (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (يونس:109)
وقال تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (النحل:127)
وقال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (لأنفال:46)
وإغفال هذا الضابط يؤدي إلى العجلة وهو باب واسع للخروج عن منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة إلى الله، فقد أخرج البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: " شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون."
والاستعجال هو: طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو سير بغير بصيرة، وهجوم على الأمور بغير معرفة، ولطالما خسرت الدعوة الشيء الكثير، وتقهقرت سنين عددا بسبب أناس استعجلوا الثمار، وسلكوا طرقا غير شرعية فكان ما كان.
والعجلة مذمومة في عامة القرآن، قال تعالى: (وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه: من الآية114)
وقال تعالى: (خُلِقَ الْأِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ) (الانبياء:37)
وقال تعالى: (وَيَدْعُ الْأِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْأِنْسَانُ عَجُولاً) (الاسراء:11)

<u>ومن أسباب العجلة:</u>

أ. غياب منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله لدى كثير من دعاة هذا العصر.
ب. الشهوة الخفية والدافع الذاتي في النفس الأمارة إلى حب الزعامة والرئاسة والسلطة وتولي مراكز القيادة، وقطف ثمار الدعوة، والخروج من حيز التهميش إلى حيز الظهور والتمكين! وهذا من جهل هؤلاء ؛إذ لو فقهوا لعلموا أن الإمامة في الدين إنما تنال بالصبر واليقين، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (السجدة:24) وأن أقرب سبيل للنجاة من كيد الأعداء هو الصبر والتقوى، قال تعالى: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (آل عمران: من الآية120)
ج. كثرة التحديات من أعداء الدعوة وكثرة الأذى مما يجر المستعجل إلى خطوات ليس هذا أوانها لا اشرعا ولا عقلا، فيترتب عليه ما يؤخر ولا يقدم.
د. عدم إدراك العمق الحقيقي للفساد في النفس البشرية، فيلغي المستعجل من حسابه حجم السنين التي تم فيها الفساد، فيريد أن يدرج الزمن جاهلا أن من السنن الإلهية انتشار الحق بتدرج.
هـ- قيام الدعوة على الارتجالية أو على أسس غير صحيحة.
و. عدم معرفة ضوابط المصلحة والمفسدة في باب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ز. العاطفة الهوجاء التي لا زمام لها ولا خطام.

<u>ومن نتائج الاستعجال:</u>

أ.القنوط والفتور في الدعوة أوالانتكاس –عياذا بالله-.

ب.الانسياق وراء الدعوات الهشة والتجمعات الجماهيرية دون النظر في العواقب ومآلات الأمور.

ج.اللجوء إلى العنف والقوة والفظاظة وسوء الخلق وفساد الأسلوب.

د.الغرور والإعجاب بالنفس واحتقار السالكين مسلك القرآن والسنة النبوية في الدعوة وقد يترتب على ذلك وصف أسلوب التربية والتعليم بالبطء وعدم مواءمة العصر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

(حركة الفلاح – كلبـــان 1423- 2004هـ)